

ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة

رَأَى أَبِي بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِي (371 هـ) يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرِ الْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي كِتَابِهِ «اعْتِقَادُ أَهْلِ الْحَدِيثِ»: «وَيُرُونَ الصَّلَاةَ وَالْجُمُعَةَ وَغَيْرَهَا خَلْفَ إِمَامٍ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، فَإِنَّ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الْجُمُعَةَ، وَأَمَرَ بِاتِّبَانِهَا فَرْضًا مطلقاً مع علمه تعالى بأنَّ القائمين بها يكون منهم الفاجر والفاسق، ولم يستثن وقتاً دون وقت. ويرون الجهاد معهم وإن كانوا جَوَارَةً». رَأَى الطَّحَاوِيُّ وَشَارَحَ الطَّحَاوِيَّةُ يَقُولُ الشَّيْخُ الطَّحَاوِيُّ فِي عَقِيدَتِهِ: «وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَيْمُنِنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ الْعَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصِّلَاحِ وَالْمَعَاذَةِ». وَقَالَ شَارِحُ الطَّحَاوِيَّةِ بَعْدَ سُوقِهِ الْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى وَجوب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِوَلَاةِ الْأُمُورِ: «فَقَدْ دَلَ الْكِتَابُ وَالسُّنَنَةُ عَلَى وَجوب طَاعَةِ أَوْلِي الْأُمُورِ، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، فَتَأْمَلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَ الْأُمُورِ مِنْكُمْ)» كَيْفَ قَالَ: (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) وَلَمْ يَقُلْ: وَأَطِيعُوا أَوْلِيَ الْأُمُورِ مِنْكُمْ، لِأَنَّ أَوْلِيَ الْأُمُورِ لَا يُفَرِّدُونِ بِالطَّاعَةِ، بَلْ يَطَاعُونَ فِيهَا هُوَ طَاعَةٌ رَسُولُهُ، وَأَعَادَ الْفِعْلَ مَعَ الرَّسُولِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ النَّبِيَّ، فَإِنَّ الرَّسُولَ لَا يَأْمُرُ بِغَيْرِ طَاعَةِ النَّبِيِّ، فَلَا يَطَاعُ إِلَّا فِيمَا هُوَ طَاعَةٌ رَسُولُهُ. وَأَمَّا لزوم طاعتهم وإن جاروا، فَلأنَّهُ يترتب على الخروج من طاعتهم من المفساد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجر، فإنَّ النَّبِيَّ تَعَالَى مَا سَلَّطَهُمْ عَلَيْنَا إِلَّا لِفَسَادِ أَعْمَالِنَا، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَعَلِينَا الْجَهْدَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَإِصْلَاحِ الْعَمَلِ، قَالَ تَعَالَى: (أَوَلَمْ نَجْعَلِ أَعْيُنَكُمْ عَنْ مَرْئِيٍّ أَنْ تَرَوْهُ أَبَدًا؟) وَمَا نَجْعَلُكَ مِنَ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ آيَاتِنَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (وَكَذَلِكَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَيَخْلَعُوا عَنْهُمْ أَسْوَابَهُمْ وَيَبْتَغُوا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ إِذَا ظَلَمُوا؟) وَكَذَلِكَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَيَخْلَعُوا عَنْهُمْ أَسْوَابَهُمْ وَيَبْتَغُوا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ إِذَا ظَلَمُوا؟